

تاريخ القبول: 2022/04/24

تاريخ الإرسال: 2020/10/01

تاريخ النشر: 2022/10/07

**الممارسة الحوارية بين المسؤولية والأمانة : (من حوار المواجهة
وأخلاق المسؤولية...إلى حوار الموثقة وأخلاق الأمانة)
Dialogue practice between responsibility and honesty
from confrontational dialogue and responsibility ”
” .to trusting dialogue and honesty ethics..ethics**

د. نجم مولاي

جامعة الأغواط (الجزائر)، moulaynadjem@gmail.com**المخلص:**

يعد الحوار في الإسلام من أعظم الوسائل للتفاهم ونسج علاقات تنموية وتقريبية في جميع مجالات الحياة سواء مع أهل الوطن الواحد، أو مع سائر الحضارات والشعوب الأخرى؛ وشعار الإسلام المعلن في هذا المضمار عبر عنه قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة: الحجرات الآية:13).

من هذا المنطلق يحق لنا أن نتسأل لمعرفة السبيل إلى تنمية الأفراد والشعوب والأمم؟ وما هي طبيعة الحوار الذي أعتده الخطاب الإسلامي في عملية التقارب الحضاري؟ وكيف يمكن اعتبار الحوار كممارسة وسيلة من أهم الوسائل لتحقيق التنمية وذلك التقارب في مواجهة العنف بشتى أنواعه عن الفرد والمجتمع؟
الكلمات المفتاحية: حوار - مواجهة - موثقة - مسؤولية - أمانة - أخلاق - ممارسة.

Abstract:

Dialogue in islam is one of the greatest means and tools of mutual understanding and building developmental and converging relationships in all spheres of life, whether with people of one country or with other people and civilizations, and the slogan of islam declared here was expressed by allah almighty saying: "Mankind verily we, we have created you of a male and a female, and we have made you nations and tribes that you might know one another . verily the noble of you with Allah is the most of you, Verily Allah is knowing wise". Surah al-hujat 13.

From this sense , we have the right to wonder about the way of developing individuals and people and nations.

What is the nature of dialogue that islam discourse based on in the civilizational converging process?

How can dialogue be considered as a practice and a greatest tool to achieve development and rapprochement in confronting different kinds of violence to protect individuals and society?

Keywords: dialogue – confrontation – trusting – responsibility – honesty – ethics – practice.

1. مقدمة: (الحوار... ضرورة حضارية)

إن المتتبع لتاريخ الدول يجد أن السياسيين لم تكن تشغلهم إقامة الحوار بينهم بقدر ما كان يشغلهم الوصول إلى السلطة، فكان إهمالهم للتخلاق على حساب التسلط، والنتيجة ما وصلت إليه المجتمعات اليوم من: (عنف وتطرف وحروب...) فصار الإنسان والأمة مهددان بفقد الأخلاق الناتج عن فقد الحوار. وعندما تفقد الأخلاق والحوار في الآن نفسه، فلا مفر من مواجهة أشنع صور العنف.

ومن أبرز الصور الواقعية الدالة على غياب العقلانية الحوارية اليوم، والتي صارت مطلباً حضارياً إذا أردنا الخروج من نفق المجتمعات المأزوم بشتى صور العنف ممثلة في: (صراع الحضارة، أو نقول صدام القيم، الإرهاب بأشكاله المختلفة والتطرف بأنواعه المتباينة، غياب حرية التعبير والحق في الاختلاف الفكري...).

ولما كان هدف البحث ممثلاً في تقديم قراءات في بعض أعمال المفكر والفيلسوف والمتصوف المغربي "طه عبد الرحمن"، باعتباره آرائه شكلت طرحاً متميزاً عن كل الأعمال الفكرية في ديارنا العربية وفي الديار الغربية أيضاً، والتي اشتغلت بالإجابة عن سؤال: كيف لنا الخروج من مأزق عالمنا المعاصر المأزوم إنسانياً وحضارياً وثقافياً ودينيًا، المعبر عن حل أزمته في كتابات بعض المفكرين والمؤرخين بتسميات مختلفة منها: (حوار الحضارات، أو تقارب الحضارات، تعايش الثقافات، حوار الثقافات، حوار الأديان...).

ومنه تأتي أوراق هاته المداخلة بعنوان: الممارسة الحوارية بين المسؤولية والأمانة (من حوار المواجهة وأخلاق المسؤولية...إلى حوار الموائمة وأخلاق الأمانة) لتجيب على جملة من التساؤلات أهمها:

- ما معنى قولنا: "الممارسة الحوارية"، "مواجهة"، "موائمة"، وما علاقتها بالحوار الديني؟

- لماذا اختيار إجابة الفيلسوف طه عبد الرحمن عن سؤال أزمة العالم المعاصر دون غيره؟

- ما هو السبيل للخروج من أزمة العالم المتسلط، ليرتفع العنف بشتى أنواعه عن الفرد والمجتمع؟

2. مصطلحات أساسية في البحث:

إذا كنا قد حددنا عنوان هذه المداخلة ب: الممارسة الحوارية بين المسؤولية والأمانة (من حوار المواجهة وأخلاق المسؤولية... إلى حوار الموائمة وأخلاق الأمانة)، فإن الاشتغال بهذا العنوان يتطلب منا أن نحدد في البداية مصطلحاته الأساسية، والتي التزمنا في تحديدها بمصطلحات معينة هي من إبداع الفيلسوف "طه عبد الرحمن" نفسه، ولا اعتبار البحث هذا المفاهيم أساسية لضرورة تداولها في مقدمة هذه الورقة؛ و هي مصطلح "الممارسة الحوارية"، "المواجهة"، و"الموائمة".

2-1- مفهوم الممارسة الحوارية:

إذا كان المفهوم العام للممارسة الحوارية بأنها هي التي تتم بين الشعوب وممثلهم، فأنا في الاصطلاح سنقف مباشرة عند تعريف الفيلسوف "طه عبد الرحمن" لها، حيث لا يرى أنها: « مجرد صورة من صور الكلام، وإنما هي الأصل في وجوده؛ فلولا حاجة الإنسان إلى الحوار ما كان ثمة كلام؛ ثم أنه لا حوار بغير اجتماع ولا اجتماع بغير أخلاق، ولا أخلاق اجتماعية بغير الأخذ بمبدأ المسؤولية»¹ فيلزم من كلام المفكر "طه عبد الرحمن" هنا أن "الممارسة الحوارية" كلام يوجب تحمل مسؤولية، والأمر في مضمونه يذكرنا "بالحوار الديني" الأول حين تلقى فيه الإنسان سؤال الإله قبل أن يتلقى سؤال الإنسان.

2-2- مفهوم المواجهة:

المقصود "بالمواجهة" عند الفيلسوف "طه عبد الرحمن" أنها: «عبارة عن المسألة التي يتسأل فيها الإنسان عن أداء واجبه»²، وهنا تكبير بما جاء في المصدر التوراتي أيضاً حول تلقي الإنسان سؤال الإله قبل أن يتلقى سؤال الإنسان وهذا هو الأصل في المواجهة لا الآخر بعينه حيث يتحمل الإنسان مسؤولية نظره ورؤيته إلى الآخر مع فهمه وإدراكه وفق ذلك.

2-3- مفهوم الموائمة:

يرى الفيلسوف "طه عبد الرحمن" أنها: «عبارة عن المساءلة التي يسأل فيها الإنسان عن الميثاق الذي أخذ منه»³، والمقصود من القول هو ما عاهد عليه الإنسان الآخر.

ويترتب عن هذه المفاهيم عند الفيلسوف "طه عبد الرحمن" أن "الأصل الديني للحوار" تترتب عنه صورتين هما: "المواجهة"، يتحدد فيها واجب المسؤول و"المواثقة" يتحدد فيها ميثاقه، بحيث أن المسؤولية التي يتحملها "حوار المواثقة" غير المسؤولية التي يتحملها "حوار الواجهة"، فالأولى تستند إلى ميثاق مأخوذ منه والثانية لا تستند إلى هذا الميثاق؛ لذا أختص الفيلسوف "طه عبد الرحمن" مسؤولية المواثقة باسم يميزها عن "مسؤولية الواجهة" وهو "الأمانة" التي هي «عبارة عن المسؤولية التي تشغل ذمة المواثقة»⁴.

لكن التعامل مع الأصل الديني للحوار في سياق "المواجهة" يقوم في التكرار لمقتضيات هذا الأصل، بإضافات كمالات يختص بها الإله إلى الإنسان، وهذا ما أصطلح عليه الفيلسوف "طه عبد الرحمن" مبدأ التغيب، أما التعامل مع الأصل الديني في سياق "المواثقة" فيقوم في تذكر الأصل الديني، وهذا من خلال إضافة المعاني الروحية التي تحفظها فطرة الإنسان إلى الحق سبحانه وتعالى واصطلح عليها مبدأ "التشهير"⁵.

3- لماذا اختيار طه عبد الرحمن دون غيره؟

كون الرجل وقف موقف المثقف المسؤول، فكان انتاجه الفلسفي متسائلاً: كيف يمكن أن تصل القسوة بالإنسان وهو العاقل على أخيه ما لا تصله عند الحيوان وهو الأعجم؟ ولا زال يشاهد فتك المسلم بأخيه المسلم، ودينه يجعل قتل الواحد كقتل الناس جميعاً، وقائله مخلداً في النار أبداً. فلم يجد إلا جواب واحداً، ألا وهو أن حب التسلط استبد بالإنسان، فسخر الإنسان التسلط لقصاء شهوته واتهم دينه بالتحريض

على العنف، وما ينبغي لدين أنزله أرحم الراحمين رحمة للعالمين أن يدعو إلى التسلط، ولو كان بعنف قليل، فما بالك بسفك للدماء كثيراً. لذا راح يبحث عن سبيل إلى الخروج من هذا التسلط حتى يرتفع عن الناس شر العنف منتقداً في هذا أبرز النظرية التي قدمت على أساس إنها حلاً وإن كان قائماً على الحوار عيـنه خصوص "نظرية الحوار" عند الفيلسوف الفرنسي "إيمانويل ليفيناس" Emmanuel Levinas (1906-1955م).

هذا وبرغم من إيمان الرجل أنه بالحوار والحوار وحده ولا شيء غير الحوار تحل أزمات عالمنا المعاصر، حيث يُنزل الحوار منزلة الحقيقة، وعليه تكلم عن "الحقيقة الحوارية" باعتبارها حاضرة أينما كان الاختلاف والتعدد بغية الاستفادة من البعض وتوسيع العقل، وتعميق مداركه بما لا يوسع ولا يعمقه النظري الذي لا حوار معه⁶، ولأجل هذا ألف كتاباً في أصول هذا النوع من الحوار القائم على "العقلانية الحوارية" النافعة، وهي التي تكون ثمرة الامتحان بواسطة الأدلة من جانبيين اثنين على الأقل نتيجة تصحيح الآراء وتوسيع الإدراك⁷.

4- بدائل الفيلسوف طه عبد الرحمن للخروج من أزمة العالم المُتسلط:

يُقر المفكر "طه عبد الرحمن" اليوم أكثر من أي وقت مضى حاجتنا إلى الحوار في مطلع القرن الجديد، كون منعطف التغيير الذي دخلت في مجتمعاتنا لا تحتاج إلى شيء أكثر من احتياجنا إلى روحين متكاملتين: وهما "الروح العقلانية النافعة"، و"الروح الجماعية الصالحة" التي تورثهما "الممارسة الحوارية"، وإن كان الأمر كذلك وجب أن نجعل خطة تربوية حوارية في مطلع القرن الجديد، تكون دقيقة وشاملة توفر لمجتمعاتنا الناهضة تكويناً متيناً في منهجيات الحوار وأخلاقياته⁸.

ولتمحيص "نظرية الحوار" التي قدم المفكر الفذ -"طه عبد الرحمن"- كطريق للخروج من أزمة العالم المتسلط الذي فقد الأخلاق بفقده الحوار، نسترسل الحديث عن ضميمة رأيه من خلال بعض النقاط التي حملت أفكاره حول ذلك:

4-1- الحوار في ظل تحدي صراع الحضارات... وتعدد الإرهاب:

في بسط الحديث حول هاته المفاهيم لا نكاد نجد مفهوم موحداً نتيجة أستعمل مختلف لها من طرف الفكر، فالبعض يعبر عنها باستعمال حوار الحضارات، أو حوار الثقافات، أو حوار الأديان. وبما أن في عصر الحضارة المتوحدة أو المتفردة ويقصد بها الحضارة الغربية الحاضرة في المكان-بالفعل العمراني- والزمان-بالفعل التاريخي- مقابل الحضارة الإسلامية التي لا حضور مشهود لهان كما عبر عن ذلك الفيلسوف "طه عبد الرحمن"؛ لأن الحوار في اعتقاده لا يكون بين جانبيين حضارة مشهودة والثانية غائبة كانت ولم تعد⁹.

والصواب من قول المفاهيم السابقة هو قول المفكر "طه عبد الرحمن" حوار الحضارات الغربية والثقافات الأخرى، لماذا؟ لأن الثقافات لا يشترط فيها الشهود العمراني والشهود التاريخي، بل يكفي وجود الذاكرة ويمكن أن يوصل المشهود بالمذكور، ويستند الحاضر بالماضي، والتحدي الذي نواجهه في اعتقاده بالذات هنا هو:

- كيف يمكن أن يحصل الحوار في عالم تسود فيه حضارة واحدة، أو قل حضارة فردية؟ وأمام تحقيق هذا التحدي يقر "طه عبد الرحمن" بوجود مفهوم آخر ملتبس وضع بغرض التشويش على مفهوم "المقاومة"¹⁰، ولو تم أخذ دلالة "المقاومة" على أنها سلوك طريق "العنف" في التوصل إلى المطلوب، وجدنا "الإرهاب" بألوانه وأشكاله المختلفة هنا يتسأل "طه عبد الرحمن":

-كيف نتحاور في ظل الإرهاب المتعدد؟ ونحن نعرف أن الإرهاب ضد الحوار، وأن الإرهاب عنف في حد ذاته.

يجيب لنا الفيلسوف "طه عبد الرحمن" عن السؤالين المصريين كالآتي:

- أولاً: بالنسبة لحواب السؤال الأول، يرى "طه عبد الرحمن" إن الحوار ممكن في ظل الحضارة المتفردة، مقدم كحل ما يسميه "الحوار التقويمي"، حيث لا يفيد هذا الحوار أن ينهض أحد الجانبين بإثبات أن بعض قيمه الثقافية أفضل من قيم الآخر لكون لا أحد منهما يريد الانسلاخ من ثقافته من أجل الاعتراف بثقافة غيره، بل أكثر من ذلك أن صاحب الحضارة المتوحدة يظن بأنه أجدر بأن لا يعترف بما لسواه بحجة إن ثقافته هي نتاج حضارته المهيمنة. وإنما الذي يفيد في هذا الحوار انتقاد القيم الثقافية لهذه الحضارة المتوحدة من داخلها، فإن ظهر للمحاور بطلان هاته القيم، أو تلك من قيمها حق له أن يستبدل مكانها قيم مضادة يستمدها من ثقافته ولم يسع خصمه إلا أن يقبلها، أما إذا امتنعت هذه القيمة على الإبطال وثبتت صحتها، وجب عن المحاور الأخذ بها؛ وهكذا يكون المحاور مقيماً للحوار التي تحيط به بقدر ما يكون مقوم لثقافته التي توجهه¹¹.

- ثانياً: وبالنسبة لحواب السؤال الثاني، فيرى بأن الحوار أيضاً ممكن في ظل الإرهاب المتعدد، مقدم كحل ما يسميه "الحوار التفاوضي" حيث لا تنفع في هذا النوع إقامة الجانبين الأدلة على الحق الذي له، ولا بيان الحقيقة التي معه، لأن أحدهما غير مستعد للإقرار بخصمه، حتى وأن علم أن الحق معه والحقيقة أيضاً، وإنما الذي ينفع في هذا الحوار هو حساب المصالح من الجانبين فتقع المطالب والتنازلات من الجانبين بالقدر الذي يجعل كل منهما يحفظ مصالحه في ظرفه الحالي. كأنه إبرام صفقة أفضل سماه "طه عبد الرحمن" "الحل الوسط"¹²، مع تعلق هذا الحل بمجال

ميزان القوة بين المتفاوضين، حتى إذا أختل هذا الميزان في زمان ما عاد العنف بشكل من الأشكال وعاد التفاوض بوجه من الوجود أيضاً.

فالحوار الحضاري مما سبق يقوم على حوارين "حوار تقويمي" و"حوار تفاوضي" العلاقة بينهما وكما يرى "طه عبد الرحمن" جدلية، فإذا زاد "الحوار التقويمي" نقص "الحوار التفاوضي"، وأحسن حضارة هي التي يسودها "الحوار التقويمي"، وأسوأ حضارة هي التي يسودها "الحوار التفاوضي"، وتتفاضل الحضارات بين هذين الطرفين بحسب حظها من كلا الحوارين، فإن زاد "الأول" عن "الثاني" كانت حضارة أعلى، والعكس صحيح¹³.

4-2- أفق الحوار... بين النظرية الحوارية الغربية والنظرية الائتمانية العربية:

لقد ناقش المفكر "طه عبد الرحمن" النظرية الحوارية الغربية بالخصوص عند ممثلها الفيلسوف "إيمانويل ليفيناس" في ضوء النظرية الائتمانية وذلك ثابت له في ثلاث كتب هي (روح الدين، من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، بؤس الدهرانية النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين¹⁴، شرود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الأخلاق¹⁵) إذ أفضت هذه المناقشة إلى ما أسماه ب: "حوار الموائمة" مقابل حوار النظرية الغربية عند "ليفيناس" الذي أسماه ب: "حوار المواجهة" فما حقيقة ذلك؟

4-2-1- النقد الطاهوي لحوار المواجهة وتقديم بديل حوار الموائمة:

- أولاً: حوار المواجهة وأخلاق المسؤولية:

لقد عرف "ليفيناس" الحوار على وجه العموم بأنه "مواجهة" قائلاً: «إنه الخطاب الذي يدور بين الناس وهم وجه لوجه، متسائلين فيما بينهم ومتبادلين الأقوال والاعتراضات»¹⁶. أما قوله بأنه "المواجهة" بكونها تربط بين طرفين متقابلين تقابلاً لا اتحاد معه، ولا اختزال، ولا تنسيق، وهما الأنا و"الأخر".

وبناء على تصور "ليفيناس" "للمواجهة" الذي يجعل من الحوار حافظاً للتمايز بين "الأنا" و"الآخر" يؤسس أخلاق المسؤولية متأثر بما بات يعرف ب: "المحرقة النازية".

حيث استنتج من هذا دليلاً مفاده: أن الأصل في الأخلاق ليس هو "الأنا" وإنما هو "الآخر". فحين مسؤولية المواجهة تدل على المسؤولية التي يُطالب فيها السائل المسؤول بإجابتين اثنتين: إحداهما: أن يجيب عن سؤاله، وثانيهما: أن يجب عن السائل، لذا سماه "طه عبد الرحمن" ب: "مسؤولية الجواب"، إذ الجوابية عبارة عن "مسؤولية المواجه"، ومن الخصائص التي حددها "ليفيناس" لهاته المسؤولية:

أ- مصدرها الآخر وليس الأنا باعتباره ذاتاً متعالية ولا متناهية. لذا يجب أن تكون علاقة الأنا بالآخر علاقة تضادها لا إحاطة فيها، سماه ليفيناس "التجلي" مقرها الوجه لا القلب ولا العقل. فالآخر يتجلى بوجهه للأنا¹⁷.

ب- السائل يتعالى على الأنا نفسها تعالياً مطلقاً. والتعالي يدل على علاقة مع واقع بعيداً بعداً لا متناهياً عن واقع الأنا. فحوار الآخر هو من يحدد الذات، وليس الأنا سواء في كلامها، أو في صمتها. لأن الذات تتأسس على الجوابية. إذ الاعتراض الذي هو في ضمن سؤال الآخر هو الذي يجعل من العلاقة بين الأنا والآخر علاقة أخلاقية جوابية¹⁸.

أما اعتراض "طه عبد الرحمن" عن هذه المسؤولية الأخلاقية فكان ممثلاً في أن الأنا في حوار المواجهة مسؤولة عن الآخر، من غير أن يكون الآخر مسؤولاً عنها بالضرورة. إذ تعدو الأنا كلها من أجل الآخر خاضعة له بكليتها ومتجردة من حظوظها.

ت- علاقة الوجه باللغة، يؤكد "ليفيناس" أن هذه العلاقة تحقق وتقوي الصلة بالمتعالي حافظة للآخر مقام المتعالي، من خلال سؤال الآخر وقد تجلى بوجهه¹⁹.

ومن الاعتراض التي يوردها "طه عبد الرحمن" حول هاته النظرية أيضاً هي:
 - أن "نظرية المواجهة" تغيب الأنا عن الآخر، فهي لون من ألوان الممارسة الحوارية
 التغييرية. والنوعت التي وصف بها هاته العلاقة مأخوذة من النوعت التي توصف بها
 العلاقة الخطابية بين الإنسان والله. حي شبه الآخر في تعاليه ولا تتاهيه بالله عز
 وجل.

- أن أضفى على الأنا نوعت يُنعت بها الإنسان في علاقته مع ربه منها: التكليف
 في صورة المسؤولية المحدودة، والامتثال في صورة الالتزام الذي لا خيار معه
 والمملوكية في صورة الرهينة المستسلمة.

- والجانب الثالث من التغيب هو إضافة الأوصاف الخاصة بالإنسان إلى الإله
 مثل: الافتقار، والضعف، والغربة حتى يرد العلاقة بالإله إلى العلاقة بالإنسان
 الآخر.

- أولى "ليفيناس" اللغة أهمية بالغة جاعلاً منها الحد الروحي الذي تتحقق في
 العلاقة بالتعالى وبالمجتمع، الأولى يتجلى فيها الآخر بوجهه وينطوي فيها
 اللامتتاهي في المتتاهي، والثانية إذ الأنا تتحمل المسؤولية مشتركة مع غيرها في
 إقامة العدل، وبهذا تحل اللغة محل الوحي. وهذا ما يظهره لنا "طه عبد الرحمن" في
 الإستلزامات الآتية:

- فكما أن الإله يتجلى بكلامه الذي خاطب به الإنسان، فكذلك وجه الآخر يتجلى
 بكلامه الذي خاطب به الأنا.

- وكما أنه لا اتصال للإله بالإنسان إلا باللغة، فكذلك لا اتصال للآخر بالأنا إلا
 باللغة.

- وكما أن الاتصال اللغوي بالإنسان اللغوي بالإنسان يحفظ للإله تعالىه، فكذلك الاتصال اللغوي بالأنا يحفظ للآخر تعالىه²⁰. ومن هذا كله تتجلى لنا مخاطر هاته النظرية الحوارية.

- ثانياً: حوار الموائقة وأخلاق الأمانة:

يقدم لنا "طه عبد الرحمن" حوار الموائقة" بديلاً عن "حوار المواجهة"، معتبر الموائقة مساعلة تشهيدية، بكونها الحوار الذي يدور على المسؤولية سواء لبست لباس الجوابية أو لباس الموائقية، والتشهاد بكونه ممارسة تذكيرية مضادة للتغيب، إذ تقوم في نقل ما بُث من فطرة الإنسان من المعاني الروحية إلى أعمال بارزة للعيان باعتبار هذه المعاني منتزلة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة²¹.

وحوار الموائقة الائتمانية عند "طه عبد الرحمن" يقوم على عدة أركان تستند إلى بعدين متلازمين ومتداخلين وهما "الامتداد" و"الارتفاع": الأول، يعني أن حوار المتوائقين يتعلق بشؤون هذا العالم مادية كانت، أو معنوية وبالتصرفات المطلوبة في تدبير هذه الشؤون إن عدلاً أو إحساناً، و"الامتداد" في هذا العالم هو مجال إسراء المتوائقين، وأما "الارتفاع" فالأن سير هذا الحوار يتطلب التوجيه والتقويم، فطلب الإسراء للدلالة والهداية ولا توجيه ولا تقويم بغير مجال ثالث يقع فيه هذه المرة عروج المتوائقين. أي لهما أن يشرفا من عل على مدارات حوارهما، فيسددها ويصوبانها وفق قيم ومعان تسمو عليها، وهذا المجال "المعراجي" سماه القرعان الكريم ب: "الملكوت"، وذلك في مقابل "الملك" الذي هو مجال "الإسراء"²².

ومن الأركان التي تأسس حوار الموائقة:

1- ركن الميثاق: هو الأساس الملكوتي الأول الذي يستند إلى المحاور الموائق تبع للميثاق الأول الذي أخذ منه في حوار مشهود، وهكذا خص الله سبحانه وتعالى بني

آدم بميثاق الإِشهاد دون سائر الكائنات. ولقد ذكر "طه عبد الرحمن" خصائص للعلاقة الحوارية بين المتوائقين المؤسسة على ركن الميثاق نلخصها هنا كما يلي:

- تتسع لكل رتبة، أي لا يشترط أن يكون المتوائقين من رتبة واحدة، وبالتالي لا ينزل أي منهما منزلة الإله أو الوحي بل ينزل كل منهما إلى رتبة الإنسان في تقيده وتناهيه.

- العلاقة تتسع لكل الكائنات، فلا يشترط أن يكون المتوائقان من جنس واحد، ولا كلاهما من الجنس البشري. أي يتعداهم إلى جميع المخلوقات.

- العلاقة تشهد تبادل الثقة بين المتوائقين، إذ لا ميثاق بغير ثقة، فكل واحد من الطرفين يثق في كلام الآخر²³.

2- ركن الأمانة: هو الأساس الثاني الذي يستند إليه المحاور الموائق، وهو العرض العظيم الذي عُرض عليه بعد أن أخذ منه ميثاق الإِشهاد، وهذا أخبرنا به الحق سبحانه في قوله إنا عرضنا الأمانة على: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾²⁴. فيقدر ما قرب الحق سبحانه الإنسان إليه، وأثره على باقي مخلوقاته بقدر منا ابتلاه، يجعله يمارس إرادته ويحمل أمانته دون غيره. ولقد ذكر "طه عبد الرحمن" خصائص للعلاقة الحوارية بين المتوائقين المؤسسة على ركن الأمانة نلخصها هنا كالآتي:

- إنها علاقة اختيارية عن الجانبين مهما اختلفا في الرتبة، فالموائق المحاور لا يقهر محاوره على الالتزام، وإنما يترك له مطلق الاختيار، فهو بهذا بين الخلقية والخلقية.

- علاقة إيداعية غير امتلاكية، لما وكل للموائق المحاور واجب حفظ الأمانة، فقد أضحي نظره إلى الأشياء هو الإيداع وليس الامتلاك، على أن لا يضيف أي شيء

مما يدور في الحوار إلى نفسه، بدءاً بالمعرفة التي يتبادلها مع محاوره والانتهاه بالالتزام الذي يتواصل إليه معاً؛ وإنما يضيفه إلى ربه لأنه هو وحده المالك الحق.

- علاقة روحية بقدر ما هي عقلية، الموائق المحاور لا يدخل بملكة العقل وحده بل يدخل ملكة الروح أيضاً باعتبارها سبيلاً لإخراج العقل من الاستبداد الذهني وجعله قادراً على العروج منتزعة من العقل جموده على الإسراء. بمعنى لا يرى في أفكاره إلا أمانات مودعة عنده توجب عليه ما توجبه الممتلكات²⁵.

- إنها علاقة شهادة بقدر ما هي علاقة مشاهدة، إذا كانت الشهادة هي الكيفية التي يتم بها تصديق أحد المتواتقين الآخر، فإن الموائق بحكم حملها الأمانة ينتقل من دور الشاهد على غيره إلى دور المشهود عليه.

3- ركن الشهادة: تعتبر الأساس الملكوتي الثالث الذي يستند إليه المحاور الموائق وسماه "طه عبد الرحمن" ب: "الشاهدية الإلهية"، فالحق سبحانه على كل شيء شهيد. فإن كان حوار الموائق في الظاهر مجالسة بين الموائق وبين نظيره، فإنه في الباطن حوار بينه وبين ربه. فالموائق وهو يحاور نظيره، يُقدر أنه يوافق ربه بقدر ما يوافق نظيره، مزواجاً بين الإسراء بعقله والعروج بروحه. ولقد ذكر "طه عبد الرحمن" خصائص للعلاقة الحوارية بين المتواتقين المؤسسة على ركن الشاهدية نلخصها هنا كالآتي:

- إنها علاقة بصرية بقدر ما هي علاقة قولية، الموائق المحاور في استماعه إلى جلسيه، أحرص على إبطار هذا الجليس من حرصه عليه في حال إلقاء القول إليه كأنما وجود الاستماع لا يكتمل إلا بوجود الإبصار.

- إنها علاقة بصيرة بقدر ما هي علاقة بصر، أي الموائق لا ينظر لمضامين أقوال محاوره ببصره كأنما يشاهدها في عالم قائم بين يديه، بل يخضع هذه الأقوال لقاعدة التشهيد، منزلاً لها من عالمها الغير المرئي إلى العالم المرئي.

- إنها علاقة يدخل فيها نظر الشاهد الأعلى، الموافق يكون نظره إلى ربه هو غاية في نظره إلى جليسه.

4- علاقة المخالفة: تعتبر الأساس الملوكوتي الرابع الذي يستند إليه المحاور الموافق سماه "طه عبد الرحمن" هو "الأسماء الحسنی" الذي فطر الخالق سبحانه عليها، فكانت الأسماء الحسنی بمثابة معيت يمتح منه الناس القيم الأخلاقية التي تخالف بعضهم من بعضاً، والتي يحققون بفضلها كما إنسانيتهم. ولقد ذكر "طه عبد الرحمن" خصائص للعلاقة الحوارية بين المتوافقين المؤسسة على ركن المخالفة نلخصها هنا كالآتي:

- أنها تعاون على التخليق، الموافق يتعاون مع الآخرين في النهوض بهذا الارتقاء على قدر الطاقة، ومن هنا يكون حوار الموائمة مجالاً متميزاً لتحقيق هذا التعاون الأخلاقي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أُمِّيَّ النَّبِيِّ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّواكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾²⁶. ومن هنا تتجلى وجهين للتعاون هما: الأول، التعاون مع الآخر على تحقيق القيم الإنسانية. والثاني، التنافس في الارتقاء بخلق الآخر فضلاً عن الارتقاء بخلق الذات.

- أنها تعاون على المسؤولية: الهدف من حوار الموائمة هو الوصول إلى ميثاق يحدد كيفية تحمل هذه المسؤولية من المسؤوليات من خلال وجهين هما: الأول تحديد هذه المسؤولية بطريق الاتفاق، وليس بطريقة الإلزام به. والثاني، الاشتراك في إقامة هذه المسؤولية بطريق الاتفاق على هذه الإقامة وليس بطريقة الإلزام لها.

- أنها تعاون على التجميل: أن المحاور الموائق يتجمل بقدر ما يتخلق، وليس المراد بالتجميل التلبس بأجمل الأخلاق فحسب، بل أيضاً تحصيل القدرة على تنوق الجمال.

- أنها تعاون على الرحمة، إن الموائق يتقصد الشاهدية الإلهية، ويتوسط بها في علاقته بجليسه، فيكون الفضاء الحوارية الذي يتأسس على الشاهدية الإلهية فضاء رحومياً بامتياز. فلاً واحد منهما يأتي قولاً أو فعلاً إلا ويريد أن يقضي به حاجة الآخر، أو أن يستر عيبه أو بدفع الأذى عنه، بل واجب المخالفة يجعله يرى في هذه الحاجة حاجته، وفي هذا العيب عيبه، وفي هذا الأذى أذاه، حتى كأنه يبدي له رحمته، يرحم إلا نفسه²⁷.

وللوقوف على مقابلات "الممارسة الحوارية المواجهة وأخلاق المسؤولية"، و"الممارسة الحوارية الموائقة وأخلاق الأمانة" نلخص ما سبق ذكره في الجدول التالي:

حوار الموائقة وأخلاق الأمانة:	حوار المواجهة وأخلاق المسؤولية:
- تعالي الإله	- تعالي الآخر
- ميثاق الإسهاد	- المحرقة النازية
- عروج الروح	- تجلي الوجه
- الشاهدية الإلهية	- الأمرية المطلقة
- الاستعانة بالإبصار	- التوسل باللغة
- الخيار في الأمانة	- الإلزام بالمسؤولية
- الشهادة بالروبية	- النهي عن القتل
- اتخاذ الإله واسطة إلى الإله.	- اتخاذ الإنسان واسطة إلى الإله

الشكل رقم: 01: خصائص الممارسة الحوارية بين المسؤولية والأمانة

- خاتمة:

يبقى البديل الذي أصله "طه عبد الرحمن" من قراءة ونقد الفكر الغربي و الرجوع للاستفادة من التراث العربي الإسلامي قائماً إلى حين من خلال ما قدمه من أنواع للحوار الداخلي والخارجي لحل أزمت عالمنا المأزوم في شتى مجالاته، ممثلة في نوعين للممارسة الحوارية: أولها، "الحوار التقويمي" ، وثانيها، "الحوار النقاوضي"، هذا على مستوى المجال السياسي والمجتمعي، و"حوار المواقفة وأخلاق الأمانة" مقابل "حوار المواجهة وأخلاق المسؤولية" على مستوى علاقة الفرد بالآخر من نفس جنسه ونوعه، أو على مستوى الفرد وكل الكائنات فوق سطح الأرض، وإن لم يكن من جنسه أو نوعه. وهذا لخلق نوع من الممارسة الحوارية تحفظ الأمانة التي حملها الإنسان في الميثاق الوجودي الأول، وتحقيق الغالية التي من أجلها خلق هذا الكون. وعليه نواجه تساؤلاً آخر يُطرح إذا أردنا تحقيق ذلك، مفاده البحث عن:

- ماهي الآليات والوسائل الممكنة اعتمادها لتحقيق تصورات المفكر "طه عبد الرحمن" حول الممارسة الحوارية النافعة، إذا كانت الآليات الدولية الموجودة اليوم لا تستصغ موائيقها وديباقتها هذه التأمّلات، خصوصاً إن حقيقة التكامل الحوارية بين الحضارات وثقافتها أصبح اليوم ضرورة ملحة للحفاظ على هذا الكوكب الذي بات مهدداً وكائناته بالانقراض أو الزوال لا سيما في ظل حرب كونية ثالثة؟

- توصيات:

1- يجب أن نربي أبنائنا وأهلنا على ثقافة الحوار، حتى لا يكونونا قابلين للانتقاد في المستقبل.

2- غرس قيم الحوار في المعلمين والمعلمات باعتبارهم هم أكثر مسؤولية من غيرهم على ما يعيشه المجتمع الإنساني اليوم من تطرف، وغلو، و غياب للأمن الفكري والقومي.

3- يجب أن نراعي في حوار الآخر الأمانة كخلق للمسؤولية في الممارسة الحوارية مع الآخرين.

4- نشر مبادئ الحوار الناجح في مطويات وتوزيعها على الحضور في مثل هاته المبادرات العلمية، بالإضافة إلى نشرها أيضاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي لصنع مواطنة رقمية فاعلة.

5- على الدول الكبرى إعطاء فرصة للحوار في المؤسسات المنظمة للعلاقات الدولية (مجلس الأمن- صندوق النقد الدولي- منظمة العدل الدولية- منظمة التجارة العالمية...).

الهوامش والإحالات:

¹- طه عبد الرحمن، سؤال العنف، بين الانتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والابداع، ط1، بيروت، 2017، ص167.

²- المرجع نفسه، ص 168.

³- المرجع نفسه، ص 168.

⁴- المرجع نفسه، ص 169.

⁵- يراجع: طه عبد الرحمن، روح الدين، من ضيق العلمانية إلى سعة الانتمانية، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2012، الفصل الثاني والثالث، ص(51-139).

⁶- طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، الشركة العربية للأبحاث والنشر ط1 بيروت، 2011، ص(7-10).

⁷- ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

⁸- طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، ص 11.

⁹- طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت 2013، ص181.

- ¹⁰- ينظر: طه عبد الرحمن، الحدائث والمقاومة، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، ط1، بيروت، لبنان، 2007.
- ¹¹- طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، ص (184-185).
- ¹²- المرجع نفسه، ص186.
- ¹³- المرجع نفسه، ص186.
- ¹⁴- يراجع، طه عبد الرحمن، بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين الشبكة العربي للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2014.
- ¹⁵- يراجع أيضاً: طه عبد الرحمن، شروود ما بعد الدهرانية، النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، بنان، 2016.
- ¹⁶- طه عبد الرحمن، سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، ص171.
- ¹⁷- المرجع نفسه، ص(175 - 176).
- ¹⁸- المرجع نفسه، ص175.
- ¹⁹- المرجع نفسه، ص180.
- ²⁰- المرجع نفسه، ص190.
- ²¹- المرجع نفسه، ص193.
- ²²- المرجع نفسه، ص194.
- ²³- المرجع نفسه، ص(196 - 197).
- ²⁴- القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 72.
- ²⁵- طه عبد الرحمن، سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، ص(198 - 200).
- ²⁶- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 02.
- ²⁷- طه عبد الرحمن، سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، ص(204-209).